

إشكالية النّقد النّحوي والصّرفي وموقف النّقاد القدامى من ذلك
د/يوسف بن نافلة جامعة الشلف الجزائر

الملخص :

تتناول المداخلة حقيقة الأدب ،، ثم علاقة الأدب بعلم النفس ،باعتبار أنّ الأدب والنّقد الأدبي اتصالا وثيقا بعلم النفس ،ثم الحديث عن عناصر الأدب ، وأنواعه ، والنقد ، والناقد وثقافته ، ووظيفة النقد ، وغايته ، ثم مناهج النقد الأدبي المختلفة ، وفي الأخير أتناول بالتفصيل قيمة النّقد اللفظي عند النقاد ، ومال جديد لدى النقاد القدامى في تقديم النحوي والصّرفي ؟ وماهي الأحكام الذوقية الخاصة بالنقاد ؟ مع الإشارة إلى أبيات منتقدة نحويا ، وصرفيا ، ومال مناهج النقاد في الدرس النّحوي والصّرفي ؟.

الكلمات المفتاحية :

إشكال /النّقد/التطبيق/تراث/ اللفظ/النحو /التراكيب /الصّرف /موقف/قدامى /النّقاد/

RESUME

LE THEME DE CETTE RECHERCHE EST LA REALITE DE LA LITTERATURE ;PUIS LA RELATION ENTRE LA LITTERATURE ET LA PSYCHOLOGIE ;PUISQUE LA LITTERATURE ET LA CRITIQUE LITTERAIRE ONT UN LIEN SOLIDE AVEC LA PSYCHOLOGIE ;PUIS JE PARLE DES ELEMENTS DE LA LITTERATURE ET SES GENRES ;ET LE CRITIQUE ET SA CULTURE ; ET LA FONCTION DE LA CRITIQUE ;ET SON BUT :PUIS LES METHODES DE LA CRITIQUE LITTERAIRE ;A LA FIN JE PARLE EN DETAIL DE LA VALEUR DE LA CRITIQUE LITTERALE ;CHEZ LES CRITIQUES ;ET QUEL EST LE NOUVEAU CHEZ LES ANCIENS CRITIQUES DANS LEURS CRITIQUES LINGUISTIQUE ; ET MORPHOLOGIQUE ? ET QUEL SONT LES LOIS DES GOUTS CONCERNANT LES CRITIQUES ? ET QUELLE EST LA METHODE CRITIQUES DU COURS LINGUISTIQUE ET MORPHOLOGIQUE ?.

المقدّمة :

من المتفق عليه لدى معشر المتخصصين في الدراسات النقدية والأدبية أنّ مصطلح النّقد يعود عهده إلى العصور القديمة الغابرة ،ولعله بمفهومه العام قد نشأ منذ بدأ الإنسان يدرك ،ويعقل ،ويميز ، ويناقش ،ويلاحظ وبمحصّ ،ويستحسن، ويستقبح ..أما النقد الأدبي فهو عند كثير منهم وليد الأدب ،وثمره من ثماره ،ونتيجة من نتائجه ، والأدب هو ميدان النّقد، ومجاله ،ومادّته، وموضوعه الذي يعمل فيه ،ويشتغل على ضوئه.

وقد خصصت هذه الدراسة للحديث عن موضوع النقد النحوي والصرفي لدى النقاد القدامى ،محاولاً الإجابة عن الإشكالية الآتية-فيم تكمن أهمية ،وقيمة النّقد اللفظي عند النّقاد ؟ و ما الجديد في تخطئة النّحاة لكبار الشعراء ؟ وما الجديد أيضا في نقدهم النحوي والصرفي ؟وما هي الأحكام الذوقية الخاصة بالنقاد ؟وماهي الأبيات المنتقدة نحويًا وصرفيًا ؟وما موقف النقاد من النحويين البصريين والكوفيين ؟وما هو منهج النقاد في الدرس النحوي والصرفي ؟ .

هذا الإشكال المطروح الذي يصب في موضوع الدراسة أحاول الإجابة عنه في محتوى هذه الدراسة ومضمونها .

مفهوم كلمة " أدب " :

عند العودة إلى العصر الجاهلي وأدبه ،فإننا نلاحظ أن كلمة أدب لا تنفي ورودها فيما ضاع من الأدب الجاهلي لقول أبي عمرو بن العلاء : (ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلّا أقلّه ،ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر ،وكثير).¹

ورغم ذلك فإننا نجد بعض النصوص من الأدب الجاهلي ،استعملت كلمة (الأدب) للدلالة على تقويم الخلق ،وتهذيبه ،والمعاملة الطيبة ،الحسنة،واللطيفة ،من ذلك مثلا ما قاله عتبة بن ربيعة لابنته هند وهو يصف لها أبا سفيان ابن حرب حين تقدّم لخطبتها دون أن يسميه لها ،فقد ورد في وصف عتبة لأبي سفيان قوله :

¹خزعة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري ص27.

(يؤدّب أهله ،ولا يؤدّبونه ...) ،وورد في ردّ هـند على أبيها قولها : (إنّي لأخلاق هذا لوامقة
،وإنّي له لموافقة ،وإنّي لأخذه بأدب البعل)² ،فالتأديب هنا يعني تقويم الخلق وتهذيبه ،والأخذ بأدب
البعل يعني المعاملة الكريمة اللاتقة .

وقول أعرابية تصف لأخرى رجلاً يبغى خطبتها دون أن تسميه كذلك ،فقد قالت لها فيما قالت :
كريم الحسب ،كامل الأدب ...) ³

أمّا في صدر الإسلام فقد دلّت كلمة (أدب) على التثقيف والتّعليم ،ونلتبس هذا المعنى في قول علي بن
أبي طالب للرسول صلى الله عليه وسلّم : (يارسول الله نحن بنو أب واحد ،ونراك تكلم وفود العرب
بما لا نفهم أكثره.) فقال الرسول (ص) : (أدبني ربّي فأحسن تأديبي ،وربّيت في بني سعد.)

فالتأديب في كلام الرسول (ص) ليس بمعنى التهذيب الخلقي ،وإنّما هو بمعنى التثقيف ،والتعليم.⁴

أمّا في العصر الأموي فإننا نجد كلمة (أدب) شاعت للدلالة على التعليم بطريق الرواية على اختلاف
أنواعها :من رواية الأشعار ،والأخبار ،وكلّ ما يتّصل بالعصر الجاهلي ،من ذلك ما روي أنّ عمر بن
عبد العزيز قال لمؤدّبه : (كيف كانت طاعتي إياك ،و أنت تؤدّبني ؟ قال : أحسنّ طاعة .قال فأطعني
الآن كما كنت أطعك)

فالتأديب الذي يقصده عمر بن عبد العزيز هنا هو بمعنى التعليم .وقد شهد العصر الأموي طبقتين من
العلماء وقفوا أنفسهم على التعليم :طائفة المعلمين وطائفة المؤدّبين .

أمّا طائفة المؤدّبين فقليل لهم (المؤدّبون) تميّزا لهم عن المعلمين الذين اختصوا بتعليمهم الصبيان العامة
في الكتاتيب ،فهؤلاء لم يكن يُطلق على أحدهم إلّا لقب (المُعَلِّم)..ولعلّ أقدم من عُرف من المعلمين
قبل ظهور لقب (المؤدّب) أبو الأسود الدّؤلي :كانت تجتمع له الناس تعلّما فيعلمهم النحو تعلّما.

أمّا (المؤدّبون) فهم الذين كان يوكل إليهم تعليم أبناء الخاصة لا العامة ،أو أبناء الخلفاء ،وقد يأخذونهم
بفنون الآداب ،كالشعر ،والعربية ،والأخبار.⁵

2-الأمالي لأبي علي القالي 104/2.والواقعة :المحبة بضم الميم.

3-المصدر السابق 198/2. وينظر في النقد الأدبي ،د/عبد العزيز عتيق ،ص26.

4-ينظر :في النقد الأدبي ،د/عبد العزيز عتيق ،دار النهضة العربية بيروت ،1927، ص26 و27.

5-ينظر المصدر السابق ص27 وما بعدها.

ومن أجل التأديب والتعليم الذي شاع في هذا العصر ظهر نوع من الشعر التعليمي الذي لا يعبر عن حاجة وجدانية بمقدار ما يعبر عن حاجة لغوية . نرى ذلك في شعر أمثال الطّرمّاح ، و الكُميت . وقد كان المؤدّبون على ضربين : أصحاب العلوم ، وأصحاب البيان ، وقد اختص كبار العلماء والرواة بتأديب أبناء الخلفاء والأمراء ومن مؤدّبي أبناء خلفاء الأمويين عامر الشعبي ، وأبو معبد الجهنّي ، ويزيد بن مساحق ، وعبد الصمد بن الأعلى ، وصالح بن كيسان ، والجعد بن درهم .

ومن مشاهير مؤدّبي أبناء خلفاء العباسيين : الشرقي بن القطّامي ، و أبو سعيد المؤدّب ، وقطرب ، وأبو عبيدة ، والكسائي ، والفراء ، والمضلل الضّبي ، ويعقوب بن السكيت ، وأبو جعفر بن ناصح.⁶ ولم يكد العصر الأموي يدنو من نهايته حتى نرى مفهوم كلمة (أدب) يتطور و يتّسع ، فيؤدّي معنى جديدا هو (علم الأدب) في مقابل (علم الدين) ونلمس ذلك من خلال كلمة لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس المتوفّى سنة 125هـ ، ووالد السفاح أوّل خلفاء العباسيين ، فقد روي عنه قوله : (كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله ، وكفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثّل).⁷

وفي القرن الثاني الهجري ظلت لفظة (الأدباء) مقصورة على المؤدّبين ، تطلق عليهم وحدهم دون الكتّاب ، والشعراء وقد اشتهرت في هذا القرن كلمة أخرى هي (حرفة الأدب) .

وكان أوّل من قالها الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)⁸ فقد أثر عنه أنه قال : (حرفة الأدب آفة الأدباء) ، وهو يعني بذلك أنّهم كانوا يتكسّبون بالتعليم ، ولا يؤدّبون إلّا لكسب المال . وحين شاع التّكسّب بالشعر في القرن الثالث ، واتّخذ الكثر من الشعراء حرفة للرزق ، وذريعة إلى أسباب العيش انتقل إليهم لقب (الأدباء) للمناسبة بين الطائفتين (المؤدّبين والشعراء) في الحرفة ، ثمّ لم يلبثوا أن استأثروا بهذا اللقب دون المؤدّبين ، وذلك لتوسّعهم في أسباب الاحتراف .

وفي أواخر القرن الثالث جعل علي بن محمد بن بسام الشاعر (الحرفة) نبزا ولقبا يدلّ أكثر ما يدلّ على الذمّ ، وبذلك أخرج (الحرفة عن معناها اللغوي إلى معنى مجازي غلب عليها وجعلها مثلاً).⁹

وبعد ذلك نجد أنّ معنى الأدب قد عاد إلى الضيق بعد السعة ، أي أنّه أصبح لا يدلّ إلّا عل العلم الذي نجده في كتب أعلام هذا العصر من أمثال ابن سلام الجمحي (231هـ) ، والجاحظ (255هـ) ، و(ابن قتيبة

⁶-المصدر السابق ص 28 و 29

⁷- البيان والتبيين للجاحظ ، 1/86 ، وينظر النقد الأدبي لعبد العزيز العتيق ص30.

⁸-يراجع : ثمّار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص586.

⁹-ينظر في النقد الأدبي ص31 وما بعدها.

276هـ) ،و(المبرّد 258هـ). أي أنّ الأدب في هذا القرن قد أخذ يعود إلى معناه الذي كان يدلّ عليه في القرن الأول إبان العصر الأموي ،وهو الشعر وما يتّصل به و يفسّره من الأخبار والأنساب والأيام.¹⁰

أمّا العصر العباسي فقد اشتهر بالنثر الفني الذي استُحدث منه انتشار الكتابة ،وارتقاء العقل العربي ،وكذلك النقد الفني الذي نجده في مدونات أعلام هذا العصر .واستقلت علوم اللغة منذ القرن الثاني ،في حين نرى أنّ النّقد الأدبي قد ظلّ متّصلاً بالأدب كجزء منه طوال القرنين الثالث والرّابع ،ففي القرن الثاني نجد في كتب ابن سلام ،والجاحظ ،وابن قتيبة ،والمبرّد ملاحظات نقدية هامة متفرقة على غير نظام أو قاعدة .

وفي القرن الرابع نجد أنّ النقد يتطوّر ويقوى ،لكن ليس إلى الحدّ الذي ينفصل فيه عن الأدب ويستوي علما قائما بذاته ،ولعلّ أحسن الأمثلة لذلك ما نلمسه في (العقد الفريد) لابن عبد ربّه (327هـ) ،و(نقد الشعر) لقدامة بن جعفر (337هـ) ،وكتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني (356هـ) ،و(الموازنة بين الطائيين) للحسن بن بشر الأمدي (371هـ) ،و(الوساطة بين المتنبّي وخصومه) للقاضي أبي الحسن الجرجاني (393هـ) ،و(كتاب الصناعتين)،وكتاب (ديوان المعاني لأبي هلال العسكري 395هـ. وبفضل جهود هؤلاء العلماء ،والأدباء ،وغيرهم من معاصريهم أخذ النقد ينزع نحو الاستقلال من ناحية ،ويمهد لوجود البلاغة العربية من ناحية ثانية .

ففي القرن الخامس نرى الأمام عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) يلتقط الكثير من ملاحظات سابقيه النقدية ،ويقيم عليها دعامة ،وأساس علم البلاغة في كتابيه (دلائل الإعجاز) ،و(أسرار البلاغة)،ومعنى هذا أنّ الأدب بمعناه الخاص تخلّى عن النّقد والبلاغة ،ووقف عند حدود الشعر والنثر الفني .وهكذا كلّما نضج علم له اتّصال بالأدب استقلّ عنه وتركه يدور حول مآثور العقل نظما ونثرا .¹¹

وأما المعنى العام للأدب فقد ظلّ على سعته جميع الآثار العقلية ،ما عدا الشرعية ،والفلسفية منها ،وللجاحظ تعريف للأدب بمعناه العام يقول فيه : (...إنّما الأدب عقل غيرك ،تضيّفه إلى غيرك .)¹² ،فالأدب عنده يعني نتاج العقول يضيّفه المرء بالاكتساب إلى عقله .وباستقلال النقد أو تحوّل إلى البلاغة على يد أستاذها عبد القاهر قد أدّى به إلى الجمود والفساد ، ذلك أنّنا لانكاد نرى بعد كتابي عبد القاهر

¹⁰-ينظر المصدر السابق ص34.

¹¹-ينظر في النقد الأدبي لعبد العزيز العتيق ،ص35.والنقد الأدبي لأحمد أمين ص543.

¹²-رسائل الجاحظ ،رسالة المعاد والمعاش ،ج1ص96.

(الدلائل والأسرار) شيئاً ذا قيمة في النقد أو البلاغة، وإنّما نجد كتباً جافة، باردة، ومعقّدة، كتباً قد تُعلّم قواعد البلاغة التي صبّها أبو يعقوب السكاكي (ت626هـ) في قوالب جامدة من المنطق، ولكنها قلّما تحقّق لنا الأديب الناقد المتميّز.¹³

ومنذ القرن الثالث أصبحت كلمة (أدب) تدلّ على فنون الظروف، والمنادمة، وأصولها، ولعلّ ذلك قد تطرّق إليها من طريق الغناء وما يتّصل به من ضروب اللهو، والمسوّرة، وكانوا يعتبرون معرفة النّغم، وعلل الأغاني من أرقى فنون الآداب.

وفي أواخر القرن الثالث أصبحت كلمة (أدب) تدلّ على (أدب النّفس) وقد اتّسع هذا المدلول فتناول كلّ أسلوب مستحسن في علم أو عمل من خلق كريم، وسيرة محمودة، وقوانين، وتقاليد، وأعراف يعمل بها كلّ ذي حرفة، أو منصب.¹⁴

علاقة الأدب بعلم النّفس :

لاغرو أنّ الأدب والنّقد الأدبي يتّصلان اتّصالاً متيناً ووثيقاً بعلم النّفس، ذلك أنّ الأديب في كلّ ما يصدر منه من نشاط أدبي يستلهم تجاربه العقلية والنّفسية، ولهذا فالأدب هو مرآة عقل الأديب ونفسه.

والناقد يستعين بحقائق نفسية ذات مصطلحات خاصة في تفسير بعض مظاهر الأدب وعناصره وفي الحكم على العمل الأدبي عند نقده وتقويمه، وتقديره. ومن هذه الحقائق النّفسية التي تترك أثراً في نسيج الإنتاج الأدبي، ويستعين بها الناقد في التفسير، والحكم على العمل الأدبي نجد الشعور، وما وراء الشعور، واللاشعور، والاستعدادات، والدوافع، والإدراك الحسي، والتصور، والتخيّل، وتداعي المعاني، والحكم، التعليل، الوجدان، والانفعال، والعاطفة¹⁵

عناصر الأدب :

النّقاد على أنّ الأدب يتكوّن من أربعة عناصر: العاطفة، والمعنى، والأسلوب، والخيال. ومعنى ذلك أنّ كلّ نوع من الأدب لا يتحقّق وجوده إلّا بوجود هذه العناصر فيه، وتضافرها معاً في بنائه.

¹³- ينظر في النقد الأدبي ص36.

¹⁴- ينظر المصدر السابق ص36 وما بعدها.

¹⁵- ينظر في النقد الأدبي د/عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية بيروت، ص61.

وغاية الأمر أنّ بعض الأنواع الأدبية قد يحتاج إلى كمية أكبر من بعض هذه العناصر ممّا يحتاجه إليه الحكم، والحكم تحتاج إلى مقدار من المعاني أكثر ممّا تحتاجه من الخيال .

1-العاطفة :

وهي ناحية من نواحي الوجدان الذي هو مظهر من مظاهر الشعور الثلاثة :الفكر والوجدان ،والنزوع ،أو الإرادة .وهذه العاطفة هي التي تمنح الأدب الصفة التي يسميها أحمد أمين بالخلود ،فنظريات العلم ليست خالدة ،فالعلم الذي كان زمن المتنبي مات ،وبقي شعر المتنبي ،ولم يبق العلم الذي في زمنه التاريخ ،ويقدّر عنصر العاطفة حسب رأي أحمد أمين بصحتها ،واعتدالها ،وتقدر بقوّتها وحيويتها ،وتقاس أيضا باستمرارها وثباتها ،وإن تكون العواطف خصبة غنية متنوّعة وقلّما يوهب الأديب هذه الموهبة ..¹⁶

2-الخيال :

وهو ضروري في كلّ أنواع الأدب وهو الكوة التي نستطيع بها أن نصور الأشخاص والأشياء والمعاني ونمثّلها شاخصة أمام من نخاطبه ونستثير مشاعره ،والخيال عنصر كذلك من عناصر الأدب ،فكلّ أدب يثير العواطف ،ولكن من المتّفق عليه أنّ للخيال دخلا كبيرا في إثارة تلك العواطف ،ويرى أحمد أمين أنّ هناك نوعا من الخيال يسمّى خيالا خالفا وهو الذي يخلق العناصر الأولى التي تكتسب من التجارب صورة جديدة لا تنافي الحياة المعقولة ،فإن نافتها كانت وهما.¹⁷

أمّا عبد العزيز عتيق فيرى أنّ ملكة الخيال قوّة لا بدّ منها للأديب أيّا كان ،وهي قيمة كبيرة في الأدب إن لم تكن أقوى الملكات ،و أنّ كلّ أنواع الأدب محتاجة إلى الخيال يلونها ،ويبتّ فيها حياة ،وحركة ،ويلقي عليها ظلا جميلا ،وكلّما رقي الموضوع الأدبي كانت حاجته إلى الخيال أوضح ،ولعلّ الشعر ،والقصة طويلة ،أو قصيرة

هما أكثر أنواع الأدب حاجة إليه.¹⁸

3-المعاني :

¹⁶-ينظر النّقد الأدبي لأحمد أمين ، المؤسسة الوطنية للنون المطبعية الرغبة ،ص33، وفي النّقد الأدبي لعبد العزيز عتيق ص97.

¹⁷-ينظر النّقد الأدبي لأحمد أمين ص40

¹⁸-ينظر في النّقد الأدبي لعبد العزيز عتيق ص118.

للمعاني كما يقول احمد أمين :قيمة كبرى في الأدب ،وفي بعض أنواع الأدب يكون لها أكبر قيمة ككتب التاريخ الأدبية ،وكتب النقد ،والحكم والأمثال ،فالغرض الأول منها ليس هو اللذة ،وإنما هو المعاني ،والحقائق ،وليست إثارة العواطف فيها بالمنزلة الأولى وإنما المنزلة الأولى فيها للإخبار بالحقائق وأداء المعاني وعليه يجب في أداء المعاني أن تكون غزيرة فيّاضة ،دقيقة ،واضحة .¹⁹

4-الأسلوب :

وهو العنصر الرابع من عناصر الأدب وعرفه بعضهم بأنّه الطابع الخاص الذي يطبع به الكاتب كتابته ،والشاعر شعره ،والقاص ،قصته .ومنهم من حدّده بأنّه القالب الذي يصبّ فيه كلّ واحد منا فكره وعاطفته ،والمنوال الذي تُنسج فيه التراكيب²⁰ ،ومنهم من قال بأنّه المنهاج الذي ينهجه الأديب في الإفصاح عن فكر يختلج بذهنه أو عاطفة تعتمل في قلبه ،ومنهم من عرفه بأنّه طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصّة في اختيار الألفاظ على الشكل الذي يرتضيه الدّوق ،وتأليف الكلام على الوضع الذي يقتضيه العقل .²¹

أما أحمد أمين فيسمي الأسلوب بنظم الكلام ويعتبره وسيلة من وسائل نقل المعاني ،وقد ترقى جودة الأسلوب بالمعاني المعتادة فتخرجها في كلّ شكل يدعو إلى الإعجاب ،وأحيانا تغطى قوّة العاطفة وجودة الأسلوب على قوّة المعنى والتفكير المنطقي ،ولكن في كلّ لأحوال لابدّ من معان قيّمة ولايمكن للأديب أن يتبوأ مكانا عاليا إذا اعتمد على الأسلوب وحده ،وكان مصابيا بالفقر العقلي والإعجاب إذا كان محوره الأسلوب وحده لا يستمر طويلا وما أسرع مايملله الناس ويدركون خفة وزنه كالألعاب البهلوانية .واللغة هي وسيلة التعبير الطبيعية عن الأفكار والمعاني ،وتحاول التعبير عن العواطف بترجمة العواطف أولا إلى كلمات فكرية أو عقلية ،وهذه الكلمات الفكرية أو العقلية إنّما تعبر عن العواطف من طريق الإيعاز ،والإيحاء لامن طريق المباشر ،وهذا ما دعا إلى العناية بنظم الكلام ،وطريقة تأليفه فيستعان بذلك على أداء العواطف ودعا إلى الاستعانة بالأوزان الشعرية ،وطريقة الإلقاء ..وينتج من هذا أنّ الكمال في النظم يقاس بالقدرة على نقل الفكرة والعاطفة نقلا صحيحا صادقا ،فالنّظم هو التعبير

¹⁹-ينظر النّقد الأدبي لأحمد أمين ص64،وفي النقد الأدبي ص133.

²⁰-مقدمة ابن خلدون ص1099.

²¹-ينظر في النقد الأدبي لعبد العزيز عتيق ،ص145.

الخارجي لحالة داخلية فمتى صدق التعبير الخارجي وأدى في أمامة شرح الحالة الداخلية كان نظاما جيدا .²²

أنواع الأدب :

من المتعارف عليه أنّ الأدب أيا كان ينقسم إلى نظم ونثر ، وأنّ لكل منهما خصائصه ، وسماته التي تميّزه عن الآخر ، ولكن ليس كلّ منظوم شعرا ، ولا كلّ منثور أدبا ، بمعنى أنّ كلّ كلام منظوم لابدّ له من صفات أخرى

سوى مجرد النظم حتى يكون شعرا ، كما أنّ كلّ كلام منثور لابدّ من صفات أخرى سوى مجرد النظم حتى يكون شعرا ، كما أنّ كلّ كلام منثور لابدّ من صفات أخرى سوى كلام الناس المعروف حتى يكون نثرا أدبيا يجمع بين اللذة والمنفعة . ومن النظريات المعروفة أنّ الشعر أسبق إلى الوجود من النثر ، أي أنّ الكلام الذي ألف ليكون شعرا يُنشد أو يُتغنّى به أقدم من الكلام الذي ألف ليكون نثرا يتداوله الناس .²³

أمّا عن الأنواع الأدبية المختلفة فهي على النحو الآتي :

1-الشعر :

ومن فنونه نجد : الغزل ، والمدح ، والثناء ، والهجاء ، والفخر ، والشعر القصصي ، والتمثيلي ، والتعليمي .

2-النثر :

ومن أقسامه : الخطابة ، الرسائل ، المقامات ، والمقالة ، والقصص بأنواعه²⁴

النقد والنقاد :

الأدب هو موضوع النقد وميدانه الذي يعمل فيه ، وإنّ أدب أي أمة هو المأثور من بليغ شعرها ، ونثرها و الأدب عملية إبداع وإنتاج فني جمالي ، ومنه ما يسمو صعودا إلى الكمال ، والتميّز ، ومنه ما يقصر دون ذلك . والنقد هو الذي يستكشف أصالة الأدب أو عدم أصالته ، ويميّز بين جيده وريئه ، وسواء كان النقد

²²-ينظر : النقد الأدبي لأحمد أمين ، ص74 ومابعداها .

²³-ينظر في النقد الأدبي لعبد العزيز عتيق ، ص161

²⁴-ينظر : المصدر السابق ص164 ، مابعداها .

علما ،أو فنّا ،لإِنَّه ليس قائما بذاته ،وإنّما هو متّصل بالأدب ،يستمدّ منه وجوده ،ويسير في ظلّه يرصد خطاه ،واتجاهاته .

وكلمة (النّقد) تعني في مفهومها الدقيق (الحكم) ،وهو مفهوم نلحظه في كلّ استعمالات الكلمة حتى في أشدها عموما ،فالنّاقذ الأدبي إذن يعتبر مبدئيا كخبير يستعمل قدرة خاصّة ومرانة خاصّة في قطعة من الفنّ الأدبي هي عمل لمؤلّف ما فيفحص مزاياها ،وعيوبها ويصدر عليها حكما ،إلاّ أنّه حين الحديث عن أدب النّقد ،أو الأدب النقدي ،أي الأدب الذي يتكوّن من النّقد فإنّنا نضمن تحت العبارة معنى أكثر من الأدب الذي صدر الحكم.²⁵

ووظيفة النّقد الأساسية في نظر عبد العزيز عتيق هي أن ينير سبيل الأدب أمامنا ويغرينا بالسير فيه ،ويلفّتنا إلى ما فيه من جمال لا نستطيع إدراكه بأنفسنا ،وإنّ معاشتنا لأديب ،أو شاعر كبير في آثاره الأدبية ،قد تؤثر فينا فتجعلنا مشاركين له في فهمه الأعظم لمعنى الحياة ،وإنّ معاشتنا لنقاد كبير فيما يكتب عن الأدب قد تؤثر فينا أيضا فتجعلنا مشاركين له في فهمه الأعظم لمعنى الأدب .

ثم يضيف قائلا :ومهما كان ذكاء القارئ وقدرته على فهم الأدب فإنّه يظلّ بحاجة إلى معونة النّاقذ الذي تهيّأت له كلّ أدوات النّاقذ الحقّ ،فعن طريق النّاقذ نستطيع أن نرى ما يكمن في روائع الأدب من صفات القوة ،والجمال ،والنّاقذ كثيرا ما يعطينا وجهة نظر جديدة تماما ،أو يترجم إلى تعبير محدّد واضح بعض إحساساتنا الشائعة المبهمة ،أو يرشدنا إلى جوانب غير منظورة فيما نمرّ به في طريقنا وقد نعرفه معرفة جيّدة.وهكذا يعلّمنا أن نعود إلى الأدب فنقرأه مرّة ثانية ،وثالثة بيقظة أشدّ وفهم أشمل وتقدير أعمق ،وكثيرا ما يؤدي إلينا أجلّ الخدمات حين يتحدّى أفكارنا ويعارض آراءنا التي سبق أن حصلناها من مطالعتنا .²⁶

النّاقذ وثقافته :

لقد أجمع العلماء العرب على أنّ الأدب تحكمه ثلاث ملكات يلخصها عبد العزيز عتيق فيما يأتي : ملكة منتجة تتجلى في الشعراء ،والكتّاب ،والأدباء ،والخطباء ،وملكة ناقدة تستطيع أن تتبيّن مواضع الجمال في الأعمال الأدبية ،وملكة متذوّقة تُدرك بنفسها ،أو بواسطة النّاقذ ما في النصوص الأدبية من حسن ،وجمال ،وبما تدركه من مظاهر هذا الحسن والجمال .

25-ينظر في النقد الأدبي ص263،والنقد الأدبي ص219،والنقد، د/ شوقي ضيف ص9،والنقد الأدبي الحديث ص143.

26-ينظر في النقد الأدبي د/عبد العزيز عتيق ،ص368،والأدب وخطاب النقد ،د/عبد السلام المسدي ص 29.

كذلك تحدّثوا عن النّاقّد وقالوا أنّه لا بدّ أن يكون ذا طبع موهوب حتى يتمكّن من أن يبيّن للنّاس ما أدركه هو من أسباب الجمال في الأدب ، إلى جانب ذلك أدركوا أنّ النّاقّد في حاجة إلى قدر من الذكاء عبّروا عنه بحدّة القريحة . ورأوا أنّه من الضروري أن يضيف إلى ذلك ثقافة واسعة ، لاتقف عند شيء بعينه ، وعلى جانب ذلك يحتاج الناقّد إلى معايشة الأدب وكثرة مدارسه لأن ذلك يُعينه على العلم بالأدب وتقدير الشعر²⁷

وظيفة النّقد وغايته :

إنّ الغرض من تحديد وظيفة النّقد وغايته هو إبراز الدور الذي يلعبه النّقد الأدبي ، وتحديد الهدف الذي يرمي إليه في توضيح الاتجاهات الأدبية وأبرز سماتها ، ويمكن تحديد أهم وظائف النّقد ، وغاياته فيما يأتي :

1- تقدير العمل الأدبي من الناحية الفنية ، وبيان قيمته الموضوعية قدر الإمكان لأن الذاتية في العمل الأدبي هي أساس الموضوعية .

2- تعيين مكان العمل الأدبي في مجاله الخاص ، أي في عالم الأدب الذي ينتمي عليه ، فتقدير العمل الأدبي من الناحية الفنية يقتضي أن يعرف النّاقّد مكانه من الأدب ، وأن يحدّد مقدار ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته بصفة خاصة ، وفي عالم الأدب كلّ بصفة عامة .

3- تحديد مدى تأثر العمل الأدبي بالبيئة التي ظهر فيها ومدى تأثيره فيها، وإذا كان الأدب ابن بيئته ، فإنّه يكون من المهمّ عند التقدير أن يعرف النّاقّد ماذا أخذ العمل الأدبي من بيئته وماذا أعطى لها ، إذ على معرفة ذلك يتحدّد مدى ما فيه من إبداع ، ومن استجابة للبيئة .

4- التعرف إلى سمات صاحب العمل الأدبي من خلال أعماله ، وإلى خصائصه الشعورية ، والتعبيرية ، وكشف العوامل النفسيّة التي تضافرت على إنتاج أعماله الأدبية ووجهتها وجهة معيّنة خاصّة .²⁸

صلة الأسلوب بالنّقد الأدبي :

لأسلوب عند أهل الاختصاص جانبان :

²⁷- ينظر المصدر السابق ص 269 وما بعدها .

²⁸- ينظر في النّقد الأدبي ، للدكتور عبد العزيز عتيق ص 273 وما بعدها ، والنّقد الأدبي لأحمد أمين ص 228 .

الأول :من حيث هو قواعد وتوجيهات يثير الطريق أمام الأديب شاعرا ،وناثرا لكي ينسج على منوالها عمله الأدبي .

الثاني :هو يبرزه المحلل الأسلوبي من خلال دراسته لنتاج الأدباء ،وعمله حينئذ يكون محصورا في أمرين :

أ-إبراز مدى التزام الأديب بالقواعد ،والتوجيهات الموضوعية للفن الأدبي الذي أخرجه .

ب-إبراز السمات الخاصة بالأديب التي تضيف على أسلوبه صفة التفرد والذاتية .

وتكمن العلاقة بين الأسلوب والنقد الأدبي في الجانب الثاني من جانبي الأسلوب ،ذلك أن عمل الناقد الأدبي لا يخرج بحال عن همل المحلل الأسلوبي ،فهما يؤديان وظيفة واحدة .²⁹

مناهج النقد الأدبي :

من أهم المناهج النقدية الأدبية التي تلعب دورا هاما في فهم جمالية الأدب ،والعملية الإبداعية ،والحكم عليها ،وتقويمها ،وإبراز مواطن البراعة ،والجودة فيها كما يحددها عبد العزيز عتيق هي على النحو الآتي :

1-المنهج الفني :

حيث يواجه الناقد في هذا المنهج العمل الأدبي بالقواعد والأصول الفنية ،ويتصل به اتصالا مباشرا لمعرفة خصائصه الفنية وقيمه الذاتية بغض النظر عن صاحبه ،وعصره ،وينظر هذا المنهج أولا في نوع العمل الأدبي أيا كان ،ثم ينظر ثانيا في قيمه الشعورية والتعبيرية ومدى انطباقها على الأصول الفنية لنوع الأدب الذي ينتمي إليها عمله .

2-المنهج التاريخي :

هذا المنهج يتخذ من حوادث التاريخ السياسي ،والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره وخواصه ،وهذا المنهج لا يستقل بنفسه ،فلا بد فيه من قسط من المنهج الفني لأن التذوق والحكم ودراسة الخصائص الفنية في كل مرحلة من مراحل المنهج التاريخي .

²⁹-ينظر علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية ،د/عبد العظيم إبراهيم محمد ،مكتبة وهبة ،القاهرة ،ص97.

3-المنهج النفسي :

لمّا كان الأدب مرآة عقل الأديب ،ونفسه ،فإنّ العنصر النفسي أصيل في العمل الأدبي ،ودوره بارز في كلّ مراحلهِ ،والمنهج النفسي هو محاولة لتفسير الأدب على أساس نفسي ،ورأى علماء النفس ،والمختصون في التحليل النفسي أنّ العمل الفني صورة من صور التعبير عن النفس ،وعلى هذا الأساس درسوه حتى لا يدعوا ثغرة في بناء مذهبهم.

4-المذهب التكاملي :

يتألّف هذا المنهج من المناهج الثلاثة السابقة ويستخدمها مجتمعة متكاملة كتداخلة كلما ايتدعى النّقد ذلك ،وعلى هذا فهو منهج مرّن لا يقف عند حدود معيّنة ،وإنّما يأخذ من كلّ منهج ما يراه مُعينا على إصدار أحكام متكاملة على الأعمال الأدبية من جميع جوانبها.³⁰

النّقد النّحوي والصّرفي عند النّقّاد القدامى :

لقد كان لمتقدّمي النّحويين واللّغويين أثر كبير في النّقد الأدبي ،ذلك أنّ طائفتين من نقاد الأدب العربي عاشوا جنباً إلى جنب منذ أواخر القرن الأوّل الهجري :أمّا الأدباء فهم الشعراء ، والرّؤساء ، والخلفاء ممن وقف أهل الاختصاص على نقدهم ،وأمّا اللّغويون والنّحويون فأولئك الذين أوجدتهم الروح الإسلامية الجديدة ،وهيأت لهم أسباب النّحت المتشعب فكانوا أمزجة خاصّة ،وذهنية خاصّة في تاريخ النّقد الأدبي .

ثم نجد نوعاً من النّقد يراود به خدمة الفنّ الشعري ،وخدمة تاريخ الأدب ،نجد عند اللّغويين ،وعند كثير من النّحاة ،فلاعصبية ،ولا هوى جائزاً ،ولا تأثراً حاضراً ،ولا انحرافاً عن الحقّ رغبة أو رهبة ، وإنّما هو الشعور الهادئ ،والتحليل ،والدليل ،وقرعة الحجّة بالحجّة ،وذكر الأسباب .وهذا النّقد متشعب فسيح يمسّ الأداة العربية كلّها ،ويحلّل النصوص من جميع نواحيها :ضبطاً ،وبنية ،وتركيباً ،وفناً ،ومن هذا النّقد ما يقوم على الأصول الفنية التي قرّرت في تقدير الأدب .³¹

- فيم تكمن قيمة النّقد اللفظي عند النّقّاد ؟

-

³⁰-ينظر في النّقد الأدبي ،لعبد العزيز عتيق ،ص277وما بعدها.

³¹-ينظر تاريخ النّقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ،للأستاذ طه أحمد إبراهيم،بيروت ،ص51.

يرى الدكتور سعود بن عبد العزيز الخنين أَنَّ النَّقَادَ يغلب عليهم أَهلُ معانٍ، والسَّوادُ الأعظمُ من أحكامهم يختصُّ بها ويدور في فلكها، ولكنَّكَ تجد لهم عنايةً بالألفاظِ كبيرةً، فهم لا ينفكون في أوائلِ دروسهم يؤدِّون اشتراطَ العلمِ بالنَّحوِ، والإعرابِ للنَّقادِ، والأديبِ، ويشدِّدون التَّكثيرَ على مَنْ يتكلَّمُ في المعاني أو يُنشئُ الأدبَ أو يخوض في النَّقدِ وهو لا يُتقنُ علمَ النَّحوِ³²، حتى لقد جعل ابن الأثير علم النَّحوِ في علم البيان من المنظوم بمنزلة (أبجد) في تعليم الخطِّ، حيث قال: وهو أوَّلُ ما ينبغي إتقان معرفته لكل أحد ينطلق باللسان العربي ليأمن معرَّةَ اللَّحْنِ³³

وطالما أوصى النقاد الكاتب والأديب بمعرفة اللغة وإتقان النَّحوِ، وألزموه إيمان الإعراب ليلاً ونهاراً، حتى يصير ذا ملكة جيِّدة³⁴. قال ابن طباطبا: وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مرَّامه وتكلَّف نظمه، فمَنْ نقصت عليه أداة من أدواته لم يكمل له ما يتكلَّفُه منه، وبان الخلل فيما ينظمه، لحقته العيوب من كلِّ جهة، فمنها، وهو أولها: التوسع في علم اللغة والبراعة في فهم الإعراب..³⁵

وعدَّ قدامة بن جعفر من عيوب اللَّفظ أن يكون ملحوناً وجارياً على غير سبيل الإعراب واللغة، وقال معترفاً بالفضل لأهله وواضعا الحقَّ في نصابه: وقد تقدَّم مَنْ استقصى هذا الفنَّ، وهم واضعوا صناعة النَّحوِ.³⁶

واشتراط صحة اللَّفظة في النحو، واستقامتها في الصِّرف فاش عندهم لا يجهد الباحث في إثباته، ولا يكاد يخلو منه كتاب، ويمكن القول: إنَّهم في ممارسته على الشعر أكثر تشدُّداً من النحويين، حيث لا يستسيغون

أموراً يشفع لها عند بعض النحويين سماع نادر، أو قياس بعيد، والنقاد يعجبون ولا يعذِّرون حين يكون اللَّحْنُ ظاهراً، والخطأ في مسألة لا تخفى³⁷، فابن الأثير يُشنع على أبي نواس قوله:

يا خير من كان ومن يكون
إلا النبي الطَّاهر الميمون

³²-ينظر: النَّقد النحوي والصِّرفي عند النَّقاد، د/سعود بن عبد العزيز الخنين، الرياض، 1428هـ-2007م، ص13.

³³-المثل السائر لإبي أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي الرياض، 58/1.

³⁴-نصرة الثائر لصالح الدين الصفدي، تحقيق: محمد سلطاني، المجمع العلمي دمشق، صص63.

³⁵-عيار الشعر لابن طباطبا، تحقيق: عبد العزيز المانع، دار العلوم، الرياض، 1405، ص6.

³⁶-نقد الشعر لقدامة بن جعفر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، 1963م، ص197.

³⁷-ينظر النقد النحوي والصِّرفي عند قدامى النقاد، ص14.

قال :فرّج في الاستثناء من الموجب ،وهذا من ظواهر النّحو ،وليس من خافيه في شيء ³⁸ ،ولا تعجب إن أنت رأيت نحويا يقبل ضمة أبي نواس ويتأولها ،في حين أنّ النّاقذ يُنكرها ،ولا يعذر صاحبها .

واستكثروا على مثل أبي نواس أن يغلط فيما لا يغلط فيه مثله ،إذ قال في وصف الخمر :

كأنّ صُغرى وكبرى من فواقعها حصباء درّ على أرض من الذهب

قال ابن الأثير :وهذا لا يخفى على مثل أبي نواس ،فإنّه من ظواهر علم العربية ،وليس من غوامضه في شيء ،لأنه أمر نقليّ يُحمل ناقله فيه على النقل من غير تصرّف .وقوله : (صغرى) و (كبرى) غير جائز ،فإنّ (فعلى) (أفعل) لا يجوز حذف الألف واللام منها ،وإنّما يجوز حذفها من (فعلى) التي لا (أفعل) ،نحو : (حبلى) ،إلاّ أن يكون (فعلى) (أفعل) مضافة ،وهاهنا قد عريت عن الإضافة وعن الألف واللام .فانظر كيف وقع أبو نواس في مثل هذا الموضع مع قرّبه وسهولته ³⁹

وشانوا على المتنبي قوله :

جلا كما فليك التبريحُ أغذاء ذا الرّشأ الأغنّ الشّيحُ

وأرجعوا سبب خطئه فيه إلى أنّه لم يكن علمه بالعربية طائلا. ⁴⁰

ومن طرائف قسوتهم على الشعراء حين يلحنون في النحو أو يضعفون في اللغة ما علّقه أحدهم على بيت للمتنبي ،قال :ومما يدلّك على ضعفه في العربية ما حدّثنا به شيخنا أبو الحسن المهلبى ،قال :حضرته في مجلس لبعض الرؤساء ،وجرت مسألة في المذكر والمؤنث ،فقلت :قد يؤنث المذكر إذا تشبّث بمؤنث ،فقال :مَن قال هذا ؟ قلت :قاله سيبويه ،

مشين كما اهترت رياح تسفّهُت أعاليتها مرّ الرياح النواسم

ومثل ذلك :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدّم

³⁸-المثل السائر في أدب الكاتب ،لابن الأثير ضياء الدين 86/1.

³⁹-المثل السائر 66/1.

⁴⁰-المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره لابن وكيع ،تح:محمد الداية ،دار قتيبة ،دمشق ص288.

فقال -يعني المتنبي - لا أعرف هذا ، ولعله مذهب للبصريين ، ولا أعمل على قولهم ، قال : فقلت له : هذا في كتاب ابن السكيت في المذكر والمؤنث ، فقال : ليس ذلك فيه ، فأخرجته من خزانة الرئيس الذي كنا عنده ، فلما قرأه قال : ليس هذا بخط جيد أنا أكتب خيراً منه ، فقلت : ما جلسنا للتخاير بالخطوط فانقطع في يدي⁴¹ . ذلك شأنهم مع الشعراء ، يعيبونهم ويمايرون بينهم ، ويفاضلون بمعرفة الإعراب وإتقان العربية ، ولهم مع النقد أيضاً مثله ، فهم يتقنون على الذي لا يُحسن النحو ، ثم يتصدى للنقد ، فقد قال الآمدي منافحاً عن المتنبي على أبي الطيب أحد رجلين : أحدهما معنوي مدقق لا علم له بالإعراب ، ولا اتساع له في اللغة ، فهو يُنكر الشيء الظاهر ويتقن الأمر البين ، كفعل بعضهم ، وفي قوله : (لأنت أسود في عيني من الظلم) فإنه أنكر (أسود من الظلم) ولم يعلم أنه قد يحتمل هذا الكلام وجوهاً يصحّ عليها ، وإن الرجل لم يُرد (أفعل) التي للمبالغة .⁴²

- ما الجديد في نقدهم النحوي والصرفي ؟ وما هي الأحكام الدوقية الخاصة بالنقد ؟

أما الجديد في نقدهم النحوي والصرفي فيتمثل في التميز الواضح في أربعة أمور تتعلق بمباحثهم النحوية والصرفية وهي على النحو الآتي :

أ- أحكام دوقية خاصة بالنقد⁴³ :

لقد تميز النقد بأحكام لهم خاصة ، لا نكاد نجدها في كتب النحو ، فإنّ النحويين يعرفون خطأً ، وصواباً ، وكثيراً ، وقليلاً ، ومسموعاً ، ومقيساً ، ويزيد عليهم نقدة الأدب ومعايير جديدة ، يُحكمون فيها الدوق ، ويراعون التناسب . وقد شرح ابن الأثير ذلك بصراحة ووضوح ، بيّن فرقا في المنهج كبيراً جداً بين الفريقين ، يقول :

(ونحن في استعمال ما نستعمله من الألفاظ واقفون مع السن لامع الجواز ، وهذا كلّ يرجع إلى حاكم الدوق السليم ، فإنّ صاحب هذه الصناعة يُصرّف الألفاظ بضروب التصريف ، فما عدّب في فمه منها استعمله ، وما لفظه فمه تركه ... وقال : وأسرار الفصاحة لا تؤخذ من علماء العربية ، وإنّما تؤخذ منهم مسألة نحوية ، أو تصريفية ، أو نقل كلمة لغوية ، وما جرى هذا المجرى ، وأمّا أسرار الفصاحة فلها قوم مخصوصون بها⁴⁴)

⁴¹- المنصف في نقد الشعر ص153.

- ينظر : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاظمي الجرجاني تح: علي الجاوي ، ومحمد أبي الفضل ، ط1364، ص452. والنقد النحوي

⁴² والصرفي عند قدامى النقد ص16.

⁴³- ينظر النقد النحوي والصرفي عند قدامى النقد ، ص19 وما بعدها.

⁴⁴- المثل السائر 426/1.

ومن الأمور التي يقرّر النحويون صوابها ،ويُقرّر بها التقاد ،إلاّ أنّهم لا يستحسنونها ،لأنّ طبائعهم تتفر منها ،وأذواقهم لا تأنس بها ما جاء في قول البحري :

ثلاثة جلة إن شُوروا نصحوا
أو استعينوا كفوا أو سلطوا عدلوا

قالوا (شُوروا) بواوين ،ولا يجوز إدغام الأولى في الأخرى على مذهب النحويين ،لأنّ الواو منقلبة عن ألف (فاعل) فلا يجوز إدغامها ،والنطق ب(شُور) وبابه منه الطبع ،والغريزة تقرّ إلى همزة الواو الثانية ⁴⁵ ،ومثل ذلك كلمة (سُويداواتها) الواردة في قول أبي الطيّب :

إنّ الكريم بلا كرام منهم
مثلّ القلوب بل سُويداواتها

فإنها لا تعدو أن تكون تصغيراً ل(سوداء) جرى على القياس وجمعا لها على القياس أيضا ،لكن قال ابن سنان :ف(سويداواتها) كلمة طويلة جدًا ،فلذلك لا أختارها .⁴⁶ ،ولعلّهم استوحشوا من اجتماع عمليين :التصغير والجمع بالحروف في كلمة ليست بالقصيرة ،وقال ابن الاثير معلقاً :قال :إنّ لفظة : (سُويداواتها) طويلة ،فلهذا قُبِحت ،وليس الأمر كما ذكره ،فإنّ قُبِحَ هذه اللفظة لم يكن بسبب طولها ،وإنما هو لأنها في نفسها قبيحة ،وقد كانت وهي مفردة حسنة ،فلما جُمِعت قُبِحت ،لا بسبب الطول ،والدليل على ذلك أنّه قد ورد في القرآن الكريم ألفاظ طوال ،وهي مع ذلك حسنة ...⁴⁷

وكذلك حكّم ابن سنان على (حَوّياتها) من قول أبي تمام :

العيس تعلم أنّ حوّاواتها
ريح إذا بلغتك إن لم تُنَحَر

ولم يعجبه أيضا قول أبي تمام :

أنله باستماعه محلاً
يفوت علوه الطرف الطمّوحا

قال :فليس بقبح قوله : (باستماعه) خفاء لكثرة الحروف ⁴⁸

وقريب من هذه كلمة (المتديريها) في قول المتنبي :

⁴⁵-عبث الوليد ،لأبي العلاء المعري ،تح: ناديا علي الدولة ،ص402.
⁴⁶-سرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي ،شرح عبد المتعال الصعيدي ،مطبعة صبيح ،1389هـ،ص78.

⁴⁷-المثل السائر 300-299/1.

⁴⁸-سرّ الفصاحة ص 78.

أسألتها عن المتديريها فما تدري ولا تُدري دُموعها

(المتديروها) :المتخذوها دارا ، ومثلها كلمة (الزائريهم) في قول أبي تمام:

فلو عاينتهم والزائريهم لما مزت البعيد من الحميم

فما هما في النحو إلا اسم فاعل اتّصلت به (أل) الموصولة، واتّصل به في آخره ضمير المفعول به أو المضاف إليه ،على خلاف بينهم ،وما بها عند النحويين بأس ،ولا في لفظها حرج ،ولكن النقاد يقولون:لفظة (المتديريها) لو وقعت في بحر صاف لكدرته ولو أُلقي ثقلها على جبل سام لهذه ،وليس للمقت فيها نهاية ،ولا للبرد معها غاية ،وقال صاحب :ومن أطمّ ما يتعطاء التفاسح بالألفاظ النافرة ،والكلمات الشاذة حتى كأنه وليد خباء وغذي لبن ،ولم يطمأ الحضر ،ولم يعرف المدر .⁴⁹ وقال ابن الأثير عن (الزائريهم) :استعمال هذا قبيح جدًا ،وأورده مع أمثلة المنافرة وإيراد غير اللائق.⁵⁰

⁴⁹-هذا لفظ صاحب بن عباد في :الكشف عن مساوئ شعير المتنبي ص63، ونُقل عنه في بيتيمة الدهر ر 159/1.

⁵⁰-المثل السائر 451/1. وينظر :النقد النحوي والصرفي عند قدامى النقاد ص22.